خطبة بعنوان:

((الموت هادم اللذات))

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ه ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول ربنا في محكم التنزيل: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير * الَّذِي خَلَقَ الموْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}[المُلك:1-2].

فالموت والحياة مخلوقان للابتلاء والاختبار فإن الإنسان يعيش في هذه الدنيا ما شاء الله أن يعيش ويعمل ما شاء الله أن يعمل ثم يكون عاقبة أمره إلى الفناء قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام}[الرحمن:26-27] .

قال المفسر البغوي رحمه الله: قَالَ قَتَادَةُ: أَرَادَ مَوْتَ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتَهُ فِي الدُّنْيَا، جَعَلَ الله الدُّنْيَا دَارَ حَيَاةٍ وَفَنَاءٍ، وَجَعْلَ الْآخِرَةَ دَارَ جَزَاءٍ وَبَقَاءٍ. قِيلَ: إِنَّمَا قَدَّمَ الموْتَ لِأَنَّهُ إِلَى الْقَهْرِ أَقْرَبُ. وَقِيلَ قَدَّمَهُ لِأَنَّهُ أَقْدَمُ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ فِي الِابْتِدَاءِ كَانَتْ فِي حُكْمِ الموْتِ كَالنُّطْفَةِ وَالتُّرَابِ ونحوهما، ثم طرأت عَلَيْهَا الْحَيَاةُ. اهـ

فالموت له بداية وله نهاية وهو مكتوب على الخلائق في الدنيا لا محالة, ولا موت في الآخرة إذ أنها دار نعيم أو جحيم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِالموْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: 39]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39]

فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم لأن الموت انتهى وهم لا يبغون عن الجنة حولاً ويزداد أهل النار غيظًا إلى غيظهم وحزنًا إلى حزنهم لأنهم يريدون الموت للتخلص من النار والخروج منها {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون} [الزُّخرُف:77].

أيها الناس..

إن الله كتب الموت على كل نفس منفوسة ,فكتبه على الصغير الكبير وعلى العزيز والحقير وعلى الغني والفقير وعلى الجندي والوزير ,على الذكر والأنثى وعلى المؤمن والكافر وعلى البر والفاجر :{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون}[العنكبوت:57] .

قال ابن الوردي رحمه الله:

كُتِبَ الموت على الخلق فكم ... فلَّ من جيش وأنفى من دول

أين نمرود وكنعان ومَن ... ملك الأرض وولَّى وعــزل

أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلــك الكــل ولم تغــن القــلل

أين أرباب الحجى أهل النهى ... أين أهل العلم والقوم الأول

سيــعيد الله كــلاً منـــهـــمُ ... وسيــجزي فاعلاً ما قد فـعل

فلا مفر من الموت ولا مهرب قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الموْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}[الجمعة:8] .

فيا عبد الله استعد لهذا اليوم الذي تنقل فيه من بين أهلك وأولادك جثة هامدة, وتصور هذا الموقف وأنت بين أهلك وأولادك تأكل وتشرب وتضحك وتمرح وما هي إلا لحظات إلا والضحك يتحول إلى بكاء وصياح وفجعات, تصور وأنت في بيتك في غرفة واسعة نيرة مفروشة بأحسن الفرش مفتحة النوافذ مرفوعة السقف, وبين عشية و ضحاها تنتقل منها إلى حفرة ضيقة مظلمة لا أنيس ولا جليس, جسدك طعام للدود وسقفك الأحجار واللبن ,ليس لك إلا الله ثم عملك الصالح,و تصور هذه الليلة التي صبيحتها إلى المقبرة, لا تغفل عن هذا فإنه واقع لا محالة.

قال تعالى: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاق * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاق * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المسَاق}[القيامة:26] .

أي :إذا بلغت روح الميت إلى ترقوته التي في رقبته فينادي أهله من يرقيه ؟من يداويه ؟ لكن لو اجتمع أطباء العالم ورقاتهم فلن يؤخروا من أجله ساعة واحدة ولن يزيدوا من عمره لحظة واحدة.

قال تعالى: { فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون}[الأعراف:34]

قل للذي صنــع الدواء بكـــفهِ ** أترد مقدورا عليــك قد جــرى

مات المداوِي والمداوَى والذي ** صنع الدواء بكفه ومن اشترى

"وقيل من راق": قيل من يرقَى بروحه ؟هل ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

"وظن أنه الفراق": تيقن أنه مفارق للدنيا ومفارق للأهل والأصحاب ومفارق للأقارب والأحباب وأنه من الطين إلى التراب ثم العرض والحساب والوقوف بين يدي رب الأرباب.

"والتفت الساق بالساق": ذكر البغوي رحمه الله في معناها أقوالاً لبعض السلف كلها متقاربة .

قال:{ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ } قال قتادة: الشدة بالشدة. وقال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. وقال سعيد بن جبير: تتابعت عليه الشدائد، وقال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه.

قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة.

وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت.

وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه.

وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفَّتَا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه عند الموت .

{ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } أي مرجع العباد هذا".اهـ

مايتعلق بقوله تعالى:" والتفت الساق بالساق",فما أصعب هذا الموقف وما أغفل كثير من الناس عن هذا .

يا من بدنياه اشتـغل** وغره طـول الأمــل

المــوت يأتي بغتــة **والقبر صندوق العمل

قال تعالى: {فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُوم * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُون * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُون * فَلَوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِين * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين }[الواقعة:83-87].

قال المفسر البغوي رحمه الله: أي: إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت وأنتم تنظرون يا أهل الميت إليه متى تخرج نفسه ولا تملكون له من الأمر شيئا ولا تدفعون عنه ضرًا ونحن أقرب إليه بقدرتنا ورؤيتنا وبملائكتنا الذين يقبضون روحه وأنتم لا تبصرون فهلا إن كنتم غير محاسبين وغير مجزيين تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم. اهـ.بمعناه.

فيا أيها الناس لقد مات خير الخلق وخير من وطأ الحصى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو تخلد أحد أو كانت الدنيا منقبة لما فارقها ,ولو كتب الله البقاء لأحد لكان نبينا صلى الله عليه وسلم أولى بذلك, قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون }[الزُّمَر:30-31] .

وروى الطبراني عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَل ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ».

وهذا الحكم عام له ولغيره من الخلق وهوأن من عاش في هذه الدنيا فإنه سيموت ومن أحب شيئا فسيفارقه ومن عمل عملاً فسيجازى به.

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الموْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور} [آل عمران:185].

والعاقل اللبيب هو الذي ينظر إلى ما بعد الموت فيستعد له لأن هناك أحد أمرين بعد الموت إما سعادة وفوز وإما خسارة وشقاء والعياذ بالله.

أيها الناس..

إن للموت سكرة تغطي العقل وتغلقه وهي منازعة الموت وشدته قال تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الموْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد}[ق:19]

أي: هذا الذي كنت تفر منه وتهرب .

وقد عانى من سكرات الموت نبينا صلى الله عليه وسلم .

ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكرب، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ.

الشاهد قول فاطمة رضي الله عنها: "واكرب أبتاه" أي: ما يجد من شدة الموت فقال عليه الصلاة والسلام:" ليس على أبيك كرب بعد اليوم" وكأنه يخبرها أن هذا آخر كرب يعانيه وهو كربة الموت وليس بعده كرب على نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها في موته صلى الله عليه وسلم أنه كان يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلمَوْتِ سَكَرَاتٍ» الحديث.

ولما حضرت أبا بكر الوفاة قالت عائشة رضي الله عنها: حضرتُ موت أبي فأخذته غشية فتمثلتُ بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يوما وضاقت به الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد}[ق:19]

هكذا عانى من سكرة الموت وشدته خير الخليقة صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده خير هذه الأمة من بعده فكيف بمن غيره.

فالموت شديد على النفوس يا عباد الله.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبُ» وَأَنْشَأَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ قَالَ: " خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَتَوْا مَقْبَرَةً مِنْ مَقَابِرِهِمْ فَقَالُوا: لَوْ صَلَّيْنَا وَدَعَوْنَا الله عَزَّ وَجَلَّ

يُخْرِجُ لَنَا رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ مَاتَ، فَنُسَأَلَهُ عَنِ الموْتِ فَفَعَلُوا، فَبَيْنَماهُمْ كَذَلِكَ إِذْ أطَلَعَ رَجُلٌ رَأْسَهُ مِنْ قَبْرٍ مِنْ تِلْكَ المقَابِرِ خُلَاسِيٌّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ مَا أَرَدْتُمْ إِلَيَّ لَقَدْ مُتُّ مِنْذ مِائَةِ عَامٍ، فَمَا سَكَنتَ عَنِّي حَرَارَةُ الموْتِ إِلَّى الْآنَ، فَادْعُوا الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّنِيَ لِمَا كُنْتُ ".

هذا وإن سكرة الموت وشدته تختلف من المؤمن إلى الكافر فأما المؤمن فإن روحه تخرج بسهولة ويسر بدون تعذيب كما تخرج القطرة من فم السقاء ,بينما روح الكافر تخرج بصعوبة وشدة وعذاب وتتقطع مع خروجها العروق والعصب وتضربه الملائكة عند خروج روحه قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الملآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيق}[الأنفال:50] .

وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الموْتِ وَالملآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون}[الأنعام:93] .

وذلك حين تستصعب أرواحهم من الخروج وتمتنع فتخرج قهرا.

وإليكم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهوحديث طويل يكشف لنا رحلة المؤمن والكافر ومعاناة الموت وسكرته ونزول الملائكة وتشييعهم لهما والأحوال التي يمران بهما وما يعتريهما بعد نزع الروح إلى أن يصلا القبور وهي الحياة البرزخية بما فيها من نعيم أو عذاب.

فقد روى الإمام أحمد أبو بكر بن أبي شيبة وغيرهما عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، "، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ

عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الملَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ". قَالَ: " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". قَالَ: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ". قَالَ: " فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المبْلُولِ، -وفي رواية: «فتخرج معه العروق والعصب»- فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الملَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: 40] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا " –زاد في رواية: ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31] " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ".

وفي رواية: فيقول:" بشرك الله بالشر من أنت فيقول: أنا عملك الخبيث كنت بطيئا عن طاعة الله سريعا في معصية الله فجزاك الله بشر ثم يقيض له أعمى أبكم أصم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين".

أي: الجن والإنس نسأل الله العافية والسلامة.والمرزبة هي مِطرقة من حديد.

وقول المؤمن: "حتى أرجع إلى أهلي ومالي": أي :في الجنة يجتمع بهم، والمسوح: هي ثياب من الشعر, والسفود: هو قطعة من حديد لها كلاليب.

وأثناء حمل الميت على الجنازة إن كان مؤمنا يقول :"قدموني قدموني" لأنه يعلم أنه سيقدم على روح وريحان ورب غير غضبان وقد بشر بذلك عند موته كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون} [فُصِّلَت:30] .

وإن كان كافرًا يقول: "يا ويلي إلى أين تذهبون بي" ولو سمعه حاملو الجنازة لسقطوا وأغشي عليهم من هول الموقف ,ولذلك يشرع الإسراع بالجنازة فإن كانت صالحة فخيرما تقدم إليه, وإن كانت فاسدة فشر يوضع من الأكتاف.

وهذا ثابت في صحيح البخاري عن أبي سعيدالخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ لصَعِقَ ".

اللهم هون علينا سكرات الموت وثبتنا عند سؤال منكر ونكير وارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنك أنت الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

أيها المسلمون عباد الله..

بعد أن تيقنا من الموت نقلاً وعقلاً وحسًا فإنه ينبغي علينا أن نستعد لما بعده وأن نكثر من ذكره وأن نعدد أنفسنا من الموتى فكم من إنسان أمسى ولم يصبح أو أصبح فلم يمسي,فلا تغرنكم الآمال فإن الأمل يأتي طولاً والأجل يأتي عرضًا فيقطع الأمل قطعا .

فقد جاء في البخاري عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا "

وفي رواية: «هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ» يعني الأجل وهوالخط المربع المحيط به ,والأعراض هي الآفات التي تصيب الإنسان في حياته وإن سلم منها بغته الأجل وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك.

وفيه الحث على تقصير الأمل فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ

تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

وينبغي الإكثار من ذكر الموت فإن تذكرته يحمل العبد على العمل والاستعداد لما بعده.

فقد روى الترمذي وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ».

وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها وإياك وكل أمر يعتذر منه".

فذكر الموت هو الحياء من الله حق الحياء.

كما ثبت عند الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه رَسُول اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ". قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَذْكُرِ الموْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ".

والحياء من الله هو أن تعبد الله كأنك تراه وأن تعدد نفسك من الموتى.

فقد روى الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن سول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اعبد الله ولا تشرك به شيئا واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى". الحديث .

فتقصير الأمل من علامة الفوز والفلاح يجعل صاحبه يقظًا فطنًا مستعدًا للموت فما بعده, وطول الأمل يلهي صاحبه ويورثه الغفلة وينسيه الآخرة فما يدري إلا والموت يطلبه ,والدنيا تودعه, والقبر يستقبله.

فكم من إنسان خطب امرأةً فلم يتزوجها أو بنى عمارة فلم يسكنها أو اشترى سيارة فلم يركبها ,ما الذي حال بينه وبين شهواته؟

إنه الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات : {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ} [سبأ:54] .

فحُق لنا أن نبكي على أنفسنا لنفيق من غفلتنا قبل أن يُبكى علينا.

لما حضرت أبا هريرة الوفاة وبكى في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أما

إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي. اهـ.

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه ذروة الحفاظ فكيف بنا نحن؟

فإياكم والغفلة ياعباد الله, , كم قدغرت الدنيا من أناس فالتهوا بها وغفلوا عن الآخرة . واسألوا الله حسن الخاتمة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. اهـ

اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين اللهم ارزقنا توبة قبل الممات وثباتا عند الممات ورحمة بعد الممات اللهم هوّن علينا سكرات الموت وضمة القبر وثبتنا عند سؤال منكر ونكير وأجرنا من عذاب القبر والنار وارحمنا واغفر لنا يا رحيم يا غفار.